﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النّساء: 118]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن ذكر في الآية السَّابقة ما يعبدون من دون اللّه، فقال: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾؛ ناسب أن يتبعها بلعنة ما يعبدون من دون اللّه، وهو الشَّيطان الرَّجيم؛ إذ هو الَّذي سوَّل للمشركين عبادتها، كما حكى تعالى عنه بقوله: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَّعَنَهُ﴾: اللَّعن: الطَّرد والإبعاد على سبيل السّخط، وهو منَ اللّه تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدّنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومنَ الإنسان دعاء على غيره، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: 18]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [النّور: 7]، واللّعْنَة: الَّذي يلعَن كثيرًا، والتَعَنَ فلان: لعن نفسه، والتَّلاعن والملاعنة أن يَلْعن كلّ واحد منهما نفسَه أو صاحبَه[1].

2) ﴿مَّفْرُوضًا﴾: جذر الكلمة هو: (فَرَض)، والفَرض: الإيجاب، تَفرِض على نفسك فَرضًا، والفريضة: الاسم، وفرائض اللّه: حدوده[2].

وفرضت الشَّيء أفرضه فرضًا، وفرَّضته للتَّكثير: أوجبته، وقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ [النّور: 1][3]، والفرض: ما أوجبه اللّه تعالى، وسمِّي بذلك؛ لأنَّ له معالمَ وحدودًا، والمِفرَض: الحديدة الَّتي يحزّ بها[4].

ومعنى قوله تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، يعني: مقتَطَعًا محدودًا.

(1) الرّاغب، المفردات: (لعن).
(2) الخليل، العين: (فرض).
(3) ابن سيده، المحكم: (فرض).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (فرض).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

سعي الشَّيطان في إغواء العباد وتـزيـين الـشَّـرِّ لهم

يبيِّن الله ﷻ أنَّه لَعَنَ الشَّيطان وطرده من رحمته؛ لتمرّده على الله وعلى أوامره، وذكر ما يدلّ على استحقاقه لهذا اللَّعن أنَّه يسعى لإبعاد العباد عن رحمة الله، وأعلن ذلك صراحة، وقال لربِّه حين لعنه: والله لأتَّخذنَّ من عبادك نصيبًا في إغوائهم قولًا وعملًا أجعلهم أولياء لي، ويكونون من حزبي، وحزبه من أصحاب السَّعير.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الفعل الماضي في قوله: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾:

لعنة الله على الشَّيطان قديمة قدم خلق آدم

الفعل الماضي دلالته على القدم والثَّبات ورسوخ اللَّعنة؛ إذ لا تبديل لحكم الله فيه، ثمَّ بيَّن سبب استحقاقه لهذا اللَّعن ما فيه من كفر وجرأة على الله.

دلالة البدء بقوله: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾:

التَّحذير الشَّديد من اتِّباع الشَّيطان

هذا البدء له دلالة لغويَّة ومعنويَّة؛ فمن ناحية اللّغة تعدَّدت وجوه الإعراب له، فإمَّا أن يكون صفةً وإمَّا خبرًا أو دعاءً، وهذا يدلِّل على جزالة استخدام الجملة في بدء الآية، ومن ناحية المعنى: تفيد التَّحذير الشَّديد ليعلم من اتَّبعه، ومن اتَّخذه وليًّا، أنَّ مصيره كمصيره.

فائدة عطف قوله: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ على ما سبق:

إصرار الشَّيطان على العداوة والإضلال

عطفتِ الجملة على ما سبق للدَّلالة على إصراره على العداوة والإغواء لبني آدم؛ فكان المعنى: وعزَّتك لأجتهدنَّ في إبعاد عبادك كما أبعدتني، وأكَّد ذلك بالقسم الوارد في قوله: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾.

دلالة التَّعبير بالفعل ﴿وَقَالَ﴾:

استخدام الشَّيطان المقال والفِعال في جذب ذرِّيَّة آدم إلى الشَّرِّ

لَمَّا طرده الله تعالى من جنَّته ورحمته؛ بسبب معصيته جعل إبليس عمله في الحياة مصادمة الخير، وجذب ذرِّيَّة آدم إلى الشَّرِّ، واستخدم في ذلك المقال والفِعال.

دلالة التَّعبير بالفعل ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾:

إقسام الشَّيطان على إضلال بني آدم

يدلّ هذا التّعبير بهذا التَّأكيد على سيطرته على من اتَّبعه، وتمكّنه منهم في فعل ما يريد؛ لأنَّ الأخذ معناه: حوز الشَّيء وتحصيله؛ فكأنَّهم صاروا في ملكيَّته يتصرَّف فيهم كيف يشاء.

وجه قوله: ﴿مِنْ عِبَادِكَ﴾:

حرص الشَّيطان على إضلال الصَّالحين

اختار لفظ ﴿مِنْ عِبَادِكَ﴾ دون (من خلقك)؛ لأنَّ الخلق أعمّ، فيشمل آدم وذرِّيَّته، وغير ذلك منَ المخلوقات، وعداوة إبليس مقصورة على آدم وذرِّيَّته.

ولم يقل: (من عبيدك)؛ لأنَّ العباد هم هدف غوايته وإضلاله؛ لأنَّهم آمنوا وأسلموا لله ربِّ العالمين طواعيةً وحبًّا؛ فأطاعوا أوامر الله، واجتنبوا نواهيه، أمَّا العبيد الَّذين لم يسلموا؛ فهم من جنوده أصلًا، فلا يحتاجون إلى إغواء أو إضلال.

دلالة التَّعبير بـ"النصيب" في قوله: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾:

محاولة الشَّيطان إظهار نفسه في صفة الملك والقوَّة

النَّصيب: هو المقدار المعيَّن، والمراد أن يأخذ جزءًا من عباد الله، وهذا واضح في دلالة التَّعبير بالنَّصيب، وأنَّه يحاول أخذ قدرٍ كبيرٍ منَ الخلق، ويجعلهم من أتباعه كأنَّهم من نصيبه، وهو بذلك يريد أن يظهر نفسه في صفة الملك والقوَّة، ويجوز أن يكون المراد أنَّه يأخذ نصيب الشَّرِّ الموجود في الإنسان، من قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: 10].

وجه وصف النَّصيب بقوله: ﴿مَّفْرُوضًا﴾:

قطع الشَّيطان العباد عن أصل فطرتهم

اختار وصف (الفَرْض) الَّذي يشير إلى القطع؛ فكأنَّه قطعهم عن أصلهم الَّذي ولدوا عليه، وهو الفِطرة الإيمانيَّة، وهذا يشير إلى الجهد الَّذي فعله الشَّيطان في قطع جزءٍ منَ العباد عن أصلهم، وأيضًا يشير إلى معنًى مفاده تحقيق وظيفة إبليس، وكأنَّها واجبةٌ عليه.

وفيه إشارة إلى أنَّ الَّذين أخذهم إبليس لديهم استعداد واضح؛ لأنَّهم انحازوا إليه؛ لأنَّ معنى (الفرض): المنحاز[1].

التوفيق بين ﴿نَصِيبًا﴾ المشعر بالقلّة، وظاهر الآيات المفيدة كثرة أتباعه:

لا يوجد تعارض بين دلالة (النَّصيب)، وظاهر الآيات الَّتي تدلّ على الكثرة من نحو قوله تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢﴾ [الإسراء: 62]، وقوله:

﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ [سبأ: 20]؛ لأنَّ المراد "أنَّ التَّفاوت إنَّما يحصل في نوع البشر، أمَّا إذا ضممتَ أنواع الملائكة مع كثرتهم إلى المؤمنين؛ كانتِ الكثرة للمؤمنين، وأيضًا فالمؤمنون وإن كانوا قليلين في العدد؛ نصيبهم عظيمٌ عند الله تعالى، والكفَّار والفسَّاق وإن كانوا كثيرين؛ فهم كالعدم[2]"، ولكنَّ أبا حيَّان لا يرى ذلك، ويقول: "إنَّ لفظ (نصيب) لا يدلّ على القليل ولا الكثير، بدليل قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النِّساء: 7] "[3].

دلالة تكرار قوله: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ في سورة النِّساء:

وقد ورد قوله: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ في موضعين منَ القرآن الكريم، وكلا الموضعين في سورة النِّساء، أوَّلهما قوله في وصف الميراث: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ [النِّساء: 7]، والنَّصيب: النِّسب الَّتي شرَعها الله تعالى في الميراث مثل: السّدس، والثّلث، والنِّصف، والثّلثين، وغيرها، فهي أنصبة ثابتة معلومة ومفروضة، وأمَّا الموضع الثَّاني؛ فهي هذه الآية، وموضوعها: خطاب إبليس لله ﷻ قوله: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، أي: ليكونَنَّ ممَّن يتَّبعني منَ الإنس والجنِّ نصيبًا لي أتَّخذهم أولياء، فيتركون ولاية الله، ويلجؤون إلى ولاية الشَّيطان.

ولو نظرنا إلى الموضعين من منطلق واحدٍ؛ لوجدنا أنَّ الشَّيطان يقسم بأنَّه سيكون له ميراثٌ معلومٌ من عباد الله، كما أنَّ ميراث النَّاس من أمواتهم معلوم، وأنَّه نصيب وحِصَّة منَ النَّاس، كما أنَّ النَّاس لهم أنصباء من مواريث أوليائهم المتوفِّين، ووجه الشَّبه بين

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/352.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/70.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/352.

الحالتين أيضًا: يدلّ على أنَّ هؤلاء الَّذين أقسم الشَّيطان على أن يكونوا نصيبًا له: أموات، والشَّيطان وليّهم ووارثهم، كما أنَّ النّاس يرثون أمواتهم تمامًا.

تأكيد إبليس على نصيبه المفروض من بني آدم:

جلافة الخطاب النَّاشئة عن خبث التَّفكير

الشَّيطان - لعنه الله - قال: لأتَّخذن من عبادك حظًّا مقدَّرًا معيَّنًا، وهم الَّذين يتَّبعون خطواته، ويقبلون وساوسه[1]، وذلك عن طريق العلم الَّذي خلقه الله في الشَّيطان الَّذي أيقن بمقتضاه أنَّ فيه المقدرة على فتنة البشر وتسخيرهم، وكانت في نظام البشر فرص تدخل في خلالها آثار فتنة الشَّيطان، فذلك هو النَّصيب المفروض، أي: المجعول بفرض الله وتقديره في أصل الجبلَّة، وليس قوله: من عبادك إنكارًا منَ الشَّيطان لعبوديَّته لله، ولكنَّها جلافة الخطاب النَّاشئة عن خباثة التَّفكير المتأصِّلة في جبلَّته، حتَّى لا يستحضر الفكر منَ المعاني المدلولة إلَّا ما له فيه هوى، ولا يتفطَّن إلى ما يحفّ بذلك منَ الغلظة، ولا إلى ما يفوته منَ الأدب والمعاني الجميلة، فكلّ حظٍّ كان للشَّيطان في تصرّفات البشر من أعمالهم المعنويَّة: كالعقائد والأفكار الشِّرِّيرة، ومن أعمالهم المحسوسة: كالفساد في الأرض، والإعلان بخدمة الشَّيطان: كعبادة الأصنام، والتَّقريب لها، وإعطاء أموالهم لضلالهم، كلّ ذلك منَ النَّصيب المفروض[2].

وجه: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ دون: (نصيبًا معلومًا):

الإيجاب يقال اعتبارًا بوقوعه وثباته

قال: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾؛ أي: فرضه هو لنفسه، ويمكن أن يكون المعنى: (نصيبًا كثيرًا)، ولو قال: (نصيبًا معلومًا)؛ لكان المعنى أنَّه نصيب محدَّد، يعلمه الجميع، ولا ينكرونه، لكنَّ الإيجاب يقال اعتبارًا بوقوعه وثباته، والفرض بقطع الحكم فيه، قال تعالى:

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/38.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/204.

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ [النّور: 1]، أي: أوجبنا العمل بها عليك، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القصص: 85]، أي: أوجب عليك العمل به[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

اللَّعن والطَّرد:

اللَّعن: الطَّرد والإبعاد على سبيل السّخط، وهو منَ اللّه تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدّنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومنَ الإنسان دعاء على غيره، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: 18]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [النّور: 7].

الطَّرد: هو الإزعاج والإبعاد في جفاءٍ وغلظة على سبيل الاستخفاف[2].

ويؤكِّد ذلك ما ورد في القرآن الكريم من ذكر اللَّعن مع الشَّيطان، ومع الَّذين يكتمون ما أنزل اللّه منَ البيِّنات والآيات في هذا كثيرة؛ أمَّا الطَّرد؛ فجاء في حديث القرآن عن طلب المشركين منَ الرَّسول ﷺ طرد ضعفاء المؤمنين عن مجالسهم، وجاء النَّهي في القرآن عن ذلك؛ لعظم فضلهم، وعلوِّ منزلتهم، والآيات في هذا كثيرة.

الحظّ والنَّصيب:

ذهب البعض إلى عدم الفرق بينهما؛ فقال: الحظّ في اللّغة: النَّصيب والجدّ، وهو النَّصيب منَ الفضل والخير.

والنَّاظر في آيات القرآن الكريم يجد أنَّ لفظ (الحظِّ) في استعمالاته جاءَت في سياق الفضل والخير منَ الثَّواب.

أمَّا النَّصيب في اللّغة: الحظّ منَ الشَّيء، يقال: هذا نصيبي، أي: حظِّي، فهو يستعمل في الخير والشَّرِّ، ولذلك يكون أعمَّ منَ الحظِّ، وآيات القرآن شاهدة على ذلك، فمنِ استعماله في الخير، قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النِّساء: 7]، ومنِ استعمالاته في الشَّرِّ قول اللّه تعالى عن أهل النَّار: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: 47][3].

---

(1) الرّاغب، المفردات: 1/630.

(2) ابن منظور، لسان العرب، والرّاغب، المفردات: (طرد) - (لعن).

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حظظ) - (نصب)، والرّاغب، المفردات: (حظ) - (نصب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»